السبعة
الذين تكلموا فى المهد

إعداد
الدكتور مصطفى مُراد
عضو هيئة التدريس - جامعة الأزهر

دار الفجر للتراث
القاهرة

خلف الجامع الأزهر . القاهرة
ت : ٠١٠١٤٦٣١٢٣٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع
١٧٩٢٨ / ٩٩

يطلب من دار الفجر

خلف الجامع الأزهر . القاهرة
ت : ٠١٠١٤٦٣١٢٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام السيوطي :

تكلَّم في المَهد النَّبيُّ مُحمَّدُ ... ويحيى وعيسى والخليلُ ومريمُ
ومُبرِّئ جُريجَ ثمَّ شاهد يوسفَ ... وطفلٌ لدى الأخدود يرويه مسلمٌ
وماشطهُ في عهد فرعونَ طفلها ... وفي زمن الهادي المُبارك يختمُ

وزاد بعضهم :

وطفل عليه مُرَّ بالأَمَة التي ... يُقال لها تَزْني ولا تكلَّم

وزاد بعضهم :

ونوح ببطن الغار في يوم وضعه ... وموسى من التنور والنارُ تضرمُ

وقال ابن علان الشافعي :

تكلم في المهد طه كذا ... خليل ويحيى وعيسى ومريمُ
وشاهد يوسف ، مبري جريج ... وطفل لدى النار لما تضرمُ
وطفل ابن ماشطة قد غدت ... لفرعون فيما مضى من أممُ
وطفل عليهٌ أتوا بالأمة ... يقولون تزنى ولما تكلمُ
كذا في عهد خير الورى ... مباركهم وبه يختمُ[1]

* * * * *

(١) انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/ ٦٤) ط : الدار الثقافية / بيروت .

المقـــدمـــة

الحمد لله : كل سـابق انتـهى إلى أوليتـه ، وكل آخـر انتهـى إلى آخريتـه ، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر ، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن ، فما من ظاهر إلا والله فـوقه ، ومن من باطن إلا والله دونه ، وما من أول إلا والله قبله ، وما من آخر إلا والله بعده .

فالأول قـدمه ، والآخر دوامه ، وبـقاؤه ، والظاهر علوه وعظمتـه ، والباطن قربه ودنوه ، فسبق كل شيء بأوليتـه ، وبقى بعد كل شيء بآخريته ، وعلا على كل شيء بظهـوره ، ودنا من كل شيء ببطونه ، فلا توارى منه سـماء سـماءً ولا أرض أرضًا ، ولا يحجب عنه ظاهر باطنًا ، بل البـاطن له ظاهر ، والغيب عنده شهادة ،والسر عنده علانية .

سبـحانه العالي عـلى كل شيء المحيط بكل شيء ، أحسـن خلقه كل شيء ، وأتقن سبـحانه كل شيء ، له حكمة بالغة في كل شيء ، هو الأول فـسبق على كلِّ شيء ، وهو الآخر فبقى بعد كل شيء .

سبـحانه يُعوِّض عن كل شيء سـواه ، ولا يُعوَّض منه شيء ، ويُغني عن كل شيء ، ولا يُغني عنه شيء ، ويمنع من كل شيء ، ولا ويمنع منه شيء ، ويُجـير من كل شيء ، ولا يُجير منه شيء .

سبحـانه فوق كل شيء ، وليس تحتـه شيء ، وهو في كل شيء لا كشيء في شيء ، ليس كمثله شيء .

سبحانه أحسن تدبير الكائنات ، فخلق الأرض والسموات ، وأنزل الماء الفُرات من المعصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدَّر الأرزاق والأقوات .

سبحانه خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال .

ثم غذاه في أول نشوئه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغ كالماء الزُّلال ، ثم حماه بما أتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال .

سبحانه . تُسبِّح له الرمال ،وتسجد له الظلال ، وتتدكدك من هيبته الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال ، وزيَّن صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال .

وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال ، ثم كحل بصبره المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال .

فَلاحَ له من البهجة والبهاء والكمال ما استقبح دون مبادئ إشراقه كل حُسن وجمال ، واستثقل كل ما صرفه مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال .

وأشهد أن لا إله إلا الله صاحب الجلال والكمال والبهاء والجمال .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى أصحابه والآل .

أما بعد :

فإن الله على كل شيء قدير ، لا شيء يعوزه ولا جبار يقهره ،ولا تقف قدرته عند حد معلوم ، أو منتهى محدود ، فليس لقدرته نهاية ، وإنما تنطلق قدرته في كل زمان ومكان انطلاقًا يُغير كل نظام ، ويُبدِّد كل ظلام ، ويُحيِّر كل الأنام ، حتى تقول قلوبهم :

يا خالق الأكوان كيف كسوتها ... حُسنًا وهذا الملك كيف يُقام

يا فالق الحب المخبأ والنوى ... بم قد فلقت الحب يا علّامُ

يا عالمَ الإسرار علم حقيقة ... وله بكل خفية إلمامُ

أترى أنَّ قدرته انتهى عملهـا ؟! لا وألف لا ، إنما قدرته تجري بانطلاقة باهرة، وطلاقة ظاهرة .

– خذ مثلاً :

خلق الله البشر جميعًا من أب وأم إلا أنَّ طلاقة قدرته لا تقف عند هذا الحد

* فقد خلق إنسان لا أب ولا أم ، إنه آدم صلى الله عليه وسلم .

* وخلق إنسانًا بلا أم ، إنها حواء عليها السلام .

* وخلق إنسانًا بلا أب وله أم ، إنه عيسى صلى الله عليه وسلم .

ووصل إلى سمعي أنه حدث في مصر أنَّ رجلاً حـملت زوجته جنينًا ، فاحتار الرجل في رغبتـه أن يكون الجنين ذكرًا أو أنثى ، إن كان ذكرًا فمشـقاته كذا وكذا وإن كانت أنثى فهـمومه كذا وكذا ، وإذا بالجنين يخـرج من بطن أمه لا ذكرًا ولا أنثى ، وإنما الجنين قطعة لحم مكتوب عليها [خَلَقْنَا فَشَكَّل].

وأنا لا أنسى هذا الحدث العظيم في ختام القرن العشرين[1] .

خلاصة هذا الأمر العجيب العُجـاب أنَّ الإنسان منذ وجد على ظهر البسيطة لا يعيش إلا بالماء ، وإن فقد المـاء فقد حياته ،وكذا الحال مع الحـيوان والنبات ، فلا يوجد إنسان أو حيوان أونبات إلا والماء ضرورة لحـياته إلا أنَّ طلاقة القدرة الإلهية تخلق إنسانًا يعيش بدون الماء.

إنه رجل اسـمـه : **عباس حلمي** من مـصر ، إن شـرب الماء أصابه التـعب والإعيـاء ويحدث له قيئ ، ثم نزيف من الأنف ، وهذا الرجل يستـعيض عن الماء بشراب الشاي ونحوه والمياه الغازية .

وهذا الرجل أجهزته سليـمة مائة بالمائة . كما قـال الأطباء ، فليس هذا مرضًا نفسيًا أو تعبًا بدنيًا .

(١) يونيه سنة ١٩٩٨م .

وكذا أولاده حالهم قريب من حاله فسبحان القادر !!

وهل أتاك أنَّ رجلاً شرطيًا في كينيا كان يعترض زوجة في الطريق ويراجعها بكلام الحب والعشق حتى رقت وجلست منه مجلس الرجل من زوجته ، وانتهى الأمر بالجريمة النكراء التي تهتز لها السماء ، وبعد الفراغ من الحرام ، قاما ليذهب كل واحد إلى سبيله ، فإذا بالجسدين قد التصقا ، يحاولان الانفصال ، ولكن قدرة الله - تعالى - حالت دون هذا الأمر ، وظل الأمر كما هو حتى حضر الناس ورأوا هذا المشهد الجنسي ، وحاول الحاضرون أن يفصلوا الرجل عن المرأة ولكنهم عجزوا ، فأرسلوا إلى الأطباء ، وعجز الأطباء أيضًا ، فأرسلوا إلى الشرطة ، وعجز الشُّرط **فسبحان القادر المُقْتَدِر**

وقد رأيت بعيني مخلوقًا من البشر طفلة صغيرة خلق الله - عز وجل - لها رأسين ، وجسد واحد وإليك العجب العُجاب لو ترى عيناكا !!!

وإن تعجب فعجب ما جاء عن ابن خلِّكان أنه قال : بلغنا من جماعة يوثق بهم أنَّ عندهم قرية يقال لها دير أبي سلامة ، كان بها رجل من العربان ، فيه استهتار زائد وجهل فجرى يومًا ذكر السواك وما فيه من الفضيلة فقال :

والله ما أستاك إلا من المخرج (الدُّبر) فأخذ سواكًا وتركه في دُبره ، فآلمه تلك الليلة ثم مضى عليه تسعة أشهر ، وهو يشكو من ألم البطن والمخرج ثم أصابه مثل طلق الحامل ، ووضع حيوانًا على هيئة الجرذون ، ورأسه مثل رأسه السمكة ، وله أربع أنيات بارزة ، وذنب طويل ، وأربع أصابع ، وله دبر مثل دبر الأرنب ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاثًا صيحات ، فقامت ابنة ذلك الرجل فشجت رأسه فمات وعاش ذلك الرجل بعده يومين ، وهو يقول : هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي ، وشاهد ذلك الحيوان جماعة من تلك الناحية وخطيب المكان عام ٦٦٥هـ.

وتأمل في الأسباب والمسببات تجد أنَّ الله - عز وجل - جعل المسببات مرتبطة

بالأسباب ، فمن أدى الأسباب نال المسببات ، وكلما زاد اتقانًا في الأسباب جاءته المسببات على مقدار اتقانه للأسباب .

فمن ذاكر نجح

ومن زرع حصد

إلا أنّ حرية القدرة الإلهية جاءتنا بالعجب والعُجاب .

فالأسباب والمسببات بيد الله - وحده- يغيرها ويقلبها كيف يشاء ، فإذا كان النظام السائد أنّ المسببات تتبع الأسباب ، إلا أن طلاقة القدرة جعلت المسببات تأتي بلا أسباب .

هذه مريم - عليها السلام - في المسجد الأقصى ، وليس عندها طعام ،وإذا بالطعام يتنزل عليها ، وأي طعام !!! إنه فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف .

ودخل عليها زكريا - عليه السلام - متعجبًا ومندهشًا قائلاً : ﴿ **يا مريم أنى لكِ هذا** ﴾ . قالت : ﴿ **هو من عند الله** ﴾[1] .

قد تمشي في الصحراء فتجد نباتًا مثمرًا ، وتتساءل من الذي بذر ؟ من الذي زرع ؟ من الذي جاءه بالماء ؟

أين الأسباب ؟ إنها قدرة الله . أقامت المسببات بلا أسباب ، وللأسف تجد الإنسان الغافل الساهي الناسي يقول : هذا نبت شيطاني !! يا سبحان الله .

رزقه المسببات بلا أسباب منه ثم ينسب هذا الخير العظيم للشيطان الرجيم .

ولا زالت القدرة تعطي أُكُلها كل حين فتجعل الأسباب بلا مسببات.

هذا هو خليل الرحمن أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - يجمع مشركي قومه على أن يلقوه في النار ، وما أدراك ما هذه النار ، إنها نار يمكن أن تحرق

(١) سورة آل عمران : [٣٧].

الدنيا كلها ، لقد أعدوا لها إعدادًا كبيرًا ، حتى كان الطير في السماء إذا مرَّ بهذه المنطقة يحترق وهو طائر في السماء والمتصور ، أن مثل هذه النار تحرق إبراهيم عليه السلام من أول غمسة ، ولكن ربك - جلَّ وعز - يأمر المسببات بعدم العمل ، وكان هذا يوم الراحة عند المسببات ، يُلقى إبراهيم - عليه السلام - في سواء الجحيم ، وكأنه داخل جنات النعيم يجلس سعيدًا مبتسمًا والنار من حوله هنا وهناك ، لا تقترب منه ولا تمسه بأدنى سوء ، لقد جاءها نداء القهار الجبار ﴿ يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴾[1] .

فسمعت النار وأطاعت ، وأذنت لربها وحقت ، وحُقَّ لها أن تطيع .

ويستمر سيدنا إبراهيم فترة طويلة وسط النيران المُؤججة ، لك أن تتصور طول المدة بكراهية القوم للتوحيد .

وأيا كانت هذه المدة أسبوعًا أو شهرًا أو أربعين يومًا ، فإنَّ إبراهيم - عليه السلام - لم يصب بسوء ، فالنار لا تعمل إلا بقدرة الله - عز وجل -.

وعجيبة أخرى مَن الذي كان يُرسل إليه الطعام والشراب في هذا السجن الناري لقد كان ربه يُطعمه ويسقيه ﴿ والذي هو يُطعمُنِي ويَسْقِينِ ﴾[2] .

وهؤلاء مشركون مكة يقصون أثر النبي - صلى الله عليه وسلم - في حادث الهجرة ، ويتبعون أثر خطواته حتى وصلوا إلى الغار ، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه - رضي الله عنه - داخل الغار ، وكان على المشركين أن يقتحموا الغار ، فقد أخذوا بالأسباب في أتم صورة ، إلا أن ربك سبحانه ألغى المسببات في هذا الموقف ، ورجع القوم خاسرين صفر اليدين . إنها قدرة الله ﴿لا تَحزنْ إن الله معنا ﴾[3] .

(١) سورة الأنبياء : [٦٩].
(٢) سورة الشعراء : [٧٩].
(٣) سورة التوبة : [٤٠].

إنني أقدم هـذه الأمثلة ونحوها لهـذا المخلوق المؤمن حتى يـزداد إيمانًا ، ولهذا المخلوق الكافر الذي آثر الجحود حتى يرجع ويعود إلى توحيد المعبود .

قرأت السطور التالية عن تعلق الأوربيين بالفنون الجميلة ، ثم ضربت كفًا بكف من شدة العجب للضلال المبين الذي استولى على أفئده هؤلاء الذاهلين ، وهاكم ما جاء في كتاب الثقافة الإسلامية للأستاذ محمد مرمادوك بكتال قال: « لا شك أن بعضكم يذكر البحث الذي أوردته الصحف البريطانية من سنوات ، كان السؤال : لنفـرض أن تمثالاً يونانيًا شـهيرًا جـميـلاً فريدًا في نوعـه ، وهو من أجل ذلك لايُعوَّض ، كان في غرفة واحدة مع طفل حي ، ثم اندلعت النيران في الغرفة ولم يكن في الإمكان إلا إنقاذ واحد من الاثنين ، إما التمـثال وإما الطفل فأيهما يجب إنقاذه ؟

إن كثرة عظمة من الذين أجابوا على هذا السؤال في رسائلهم إلى الصحيفة من الرجال ذوي الثـقافة والمكانة المرموقـة قالوا : - حسب ما أذكـر - أنه يجب إنقاذ التمثال وترك الطفل يهلك !!

وكان حـجتـهم في ذلك أن مـلايين الأطفال يولدون يومـيًا على حين أن هذا التمثال لا يمكن تعويضه ، فإنه عمل فني عظيم من تراث اليونان .

أرأيت كفرًا أقبح من هذا الكفر ؟ وإهانة للإنسانية أبشع من هذه الإهانة .

حجر يستنقذ وطفل رقيق وديع يُترك حطبًا للنار ؟!

المثيـر في هذه القضيـة أن مصورًا يرسم على الورق منظر الشـروق أو الغروب بمهارة تحاكي الأصل أو تومئ إليه يعد فنانًا جديرًا بالإشارة والتقدير .

أما صاحب الأصل نفسه ، أمَّا فـالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا ، والشمس والقمر حُسبانًا ، فهو يُنسى أو يُجحد ، ولا توجه إليه عبارة ثناء ![1] .

---

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (٩٣ ، ٩٤) .

سبحانك يا خالق كل شيء سبحانك يا الله :

١- بك أستجير ومن يجير سواكا ... فأجر ضعيفًا يحتمي بحماكا

٢- إني ضعيف أستعين على قوى ... ذنبي ومعصيتي ببعض قواكا

٣- أذنبت يا ربي وآذتني ... ذنوبٌ ما لها من غافر إلاكا

٤- دنياي غرتني عفوك غرني ... ما حيلتي في هذه أو ذاكا

٥- لو أنَّ قلبي شك لم يك مؤمنًا ... بكريم عفوك ما غوى وعصاكا

٦- يا مدرك الأبصار والأبصار ... لا تدري له ولكنهه إدراكًا

٧- أتراك عينٌ والعيون لها مدى ... ما جاوزته ولا مدى لمداكا

٨- إن لم تكن عيني تراك ... فإنني في كل شيء أستبين علاكا

٩- يا منبت الأشجار عاطرة الشذي ... هذا الشذى الفواح نفح شذاكا

١٠- يا مُرسِل الأطيار تصدحُ في الربا ... صدحاتها إلهام موسيقاكا [1]

١١- يا مجرى الأنهار ما جريانها ... إلا انفعالة قطرة لنداكا

١٢-ربَّاه ها أن ذا خلصت من الهوى ... واستقبل القلب الهوى هواكا

١٣- وتركت أنسي بالحياة ولهوها ... ولقيت كل الأنس في نجواكا

١٤- ونسيتُ حُبي واعتزلت أحبتي ... ونسيت نفسي خوف أن أنساكا

١٥- ذقت الهوى مرًا ولم أذق الهوى ... يا رب حلوًا قبل أن أهواكا

١٦- أنا كنت يا ربي أسير غشاوةً ... دانت على قلبي فضل سناكا

١٧- واليوم يا ربي مسحت غشواتي ... وبدا أن بالقلب البصير أراكا

١٨- يا غافر الذنب العظيم وقابلاً ... للتوب قلب تائب ناجاكا

---

(١) كناية .

١٩-أترده وترد صادق توبتي حاشاك ترفض تائبًا حاشاكا

٢٠- فليرض عني الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسعى لغير رضاكا

٢١- يارب جئتك نادمًا أبكي على ما قدمته يداي لا أتباكا

٢٢- أنا لست أخشى من لقاء جهنم وعذابها لكنني أخشاها

٢٣- أخشى من العرض الرهيب عليك وأخشى منك إذ ألقاكا

٢٤- يارب عدت إلى رحابك تائبًا مستسلمًا مستمسكًا بعراكا

٢٥- ما لي ومال الأغنياء وأنت يارب الغني ولا يحدُّ غناكا

٢٦- ما لي ومال الأقوياء وأنت يا ربي ورب الناس ما أقواكا

٢٧- ما لي وأبواب الملوك وأنت من خلق الملوك وقسم الأملاكا

٢٨- إني أويت لكل مأوى في الحياة فما رأيت أعز من مأواكا

٢٩- وتلمست نفسي السبيل إلى النجاة فلم تجد منجي سوى منجاكا

٣٠- وبحثت عن سر السعادة جاهدًا فوجدت هذا السر في تقواكا

٣١- أدعوك يارب لتغفر حوبتي وتعينني وتمدني بهداكا

٣٢- فاقبل دعائي واستجب لرجاوتي ما خاب يومًا من دعا ورجاكا

٣٣- يارب هذا العصر ألحد عندما به سخرت يا رب له دنياكا

٣٤- علمته من علمك النووي ما علمته فإذا به عاداكا

٣٥- ما كاد يطلق للعلا صاروخه حتى أشاح بوجهه وقلاكا

٣٦- واغتر حتى ظن أن الكون بيمني بني الإنسان لا يمناكا

٣٧- أو ما درى الإنسان أن جميع ما وصلت إليه يداه نعماكا

٣٨- أو ما دري الإنسان أنك لو أردت لظلمت الذرات في مخباكا
٣٩- لو شئت يا ربي هوى صاروخه أو لو أردت لما استطاع حراكا
٤٠- يا أيها الإنسان مهلاً واتئد واشكر لربك فضل ما أولاكا
٤١- واسجد لمولاك القدير فإنما مستحدثات العلم من مولاكا
٤٢- الله ميزك دون سائر خلقه وبنعمة العقل البصير حباكا
٤٣- إن النواة الاكترونات التي تجري يراها الله حين يراكا
٤٤- ما كنت تقوي أن تفتت ذُرةً منها لولا الله قد قواكا
٤٥- كل العجائب صنعة العقل الذي هو صنعة الله الذي سواكا
٤٦- والعقل ليس بمدرك شيئًا إذا ما الله لم يكتب له الإدراكا
٤٧- لله في الآفاق آيات لعل أقلها ما هو إليه هداكا
٤٨- ولعل ما في النفس من آياته عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناكا
٤٩-والكون مشحون بأسرارٍ إذا حاولت تفسيرًا لها أعياكا؟
٥٠- قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافي الأمراض من أرداكا؟
٥١- قل للصحيح يموت لا من علة من بالمنايا يا صحيح دهاكا؟
٥٢-قل للبصير وكان يحذر حفرة فهوى بها من الذي أهواكا؟
٥٣- بل سائل الأعمى خطا بين الزحام بلا اصطدام من يقود خطاكا؟
٥٤- قل للجنين يعيش معزولاً بلا راعي ومرعى من الذي يرعاكا؟
٥٥- قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء لدي الولادة ما الذي أبكاكا؟
٥٦- وإذا ترى الثعبان ينفث سمه فاسأله : من الذي بالسموم حاشاكا؟

٥٧- واسأله كيف تعيش يا ثُعبان أو ... تحيا وهذا السم يملأ فاكا؟[1]

٥٨- واسأل بطون النحل كيف تقاطرت ... شهدًا وقل للشهد من حلاكا؟

٥٩- بل سائل اللبن المُصفى كان بـ ... ين دم وفرثٍ : ما الذي صفاكا؟

٦٠- وإذا رأيت الحي يخرج من حنايا ... ميت فاسأله : من أحياكا؟

٦١- قل للهواء تحسه الأيدي ويخـ ... ـفي عن عيون الناس من أخفاكا؟

٦٢- قل للنبات يجف بعد تعهد ... ورعاية من بالجفاف رماكا؟

٦٣-وإذا ترى النبت في الصحراء يربو[2] ... وحده فاسأله من أرباكا؟

٦٤- وإذا رأيت البدر يُسري ناشرًا ... أنواره فاسأله من أسراكا؟

٦٥- واسأل شعاع الشمس يدنو وهي ... أبعد كل شيء ما الذي أدناكا؟

٦٦- قل للمرير من الثمار من الذي ... بالمر من دون الثمار غذاكا؟

٦٧-وإذا رأيت النخل مشقوق النوى ... فاسأله : من يا نخل شق نواكا؟

٦٨- وإذا رأيت النار شب لهيبها ... فاسأل لهيب النار من أدراكا؟

٦٩- وإذا ترى الجبل الأشم مناطحًا ... قمم السحاب فسله من أرساكا؟

٧٠- وإذا ترى صخرًا تفجر بالمياه ... فسله من بالماء شق صفاكا؟

٧١-وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال جرى ... فسله من الذي أجراكا؟

٧٢- وإذا رأيت البحر بالملح الأُجاج ... طغى ، فسله من الذي أطغاكا؟

٧٣- وإذا رأيت الليل يُغشي داجيًا ... فاسأله من ياليل حاك دجاكا؟

٧٤- وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحيًا ... فاسأله من ياصبح صاغ ضحاكا؟

---

(١) فمك .

(٢) ينمو .

٧٥- وإذا ترى ابن البيض أسود	فاحمًا فاسأله من بالسواد طلاكا؟
٧٦- وإذا ترى ابن السود أبيض	ناصعًا فاسأله من بالبياض رماكا؟
٧٧- هذي عجائب طالما أخذت بها	عيناك وانفتحت بها أذناكا
٧٨-والله في كل العجائب ماثلٌ [1]	إن لم تكن لتراه فهو يراكا
٧٩- يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي	بالله- جل جلاله- أغراكا
٨٠- حاذر إذا تقريرًا الفضاء	فربما ثأر الفضاء لفة مهزاكا
٨١- اغز الفضاء ولا تكن مستعمرًا	أو مستعلاً باغيًا سفاكا
٨٢- إياك أن ترقي بالاستعمار في	حرم السماوات العلا إياكا
٨٣- إنَّ السماوات العلا حرم طهر	يحرق المستعمر الأفاكا
٨٤- اغز الفضاء ودع كواكبه سوابح	إنّ في تعويقهن هلاكا
٨٥- إن الكواكب سوف تفقد رشدها	وتحطم الأبراج والأفلاكا
٨٦- والجاذبية سوف يفسد أمرها	وتسئ عقباكا إلى عقباكا
٨٧- ولسوق تعلم أن في هذا قيام	الساعة الكبرى هنا وهناك
٨٨- أنا لا أثبِّط من جهود العلم	أو أنا في طريقك أغرس الأشواكا
٨٩- لكنني لك ناصح فالعلم	إن أخطأت في تسخيره أفناكا
٩٠- سخر نشاط العلم في حقل الرخاء	تصيغ من الذهب النضار ثراكا
٩١- سخّره يملأ بالسلام والتعاون	عالمًا متناحرًا سفاكا
٩٢- وادفع به شر الحياة وسوئها	وامسح بنعمي نوره بؤساكا
٩٣- العلم إحياء وإنشاء وليس	العلم تدميرًا ولا إهلاكا

---

(١) بعلمه وقدرته وإحاطته .

٩٤-فإذا أردت العلم منحرفًا فما أشقي الحياة به وما أشقاكا! [١]

ومن طلاقه القدرة الإلهية أن يتكلم مولود في المهد

والمهد في اللغة :

مهد الصبي ، ومهد الصبي موضعه الذي يُهيأ له ويوطَّأ لينام فيه . . . والجمع مهود .

والمقصود :

أن يُنطق الله المولود في وقت لم يتكلم الأطفال فيه ، وهو وقت الرضاع .

* * * * *

---

(١) قائله : إبراهيم علي بديوي شيخ معهد دمنهور الديني .

المتكلمون فى المهد

[١] عيسى[١] ابن مريم عليهما السلام

﴿ إني عبـد الله آتاني الكتـاب وجـعلني نبـيًا * وجعلنـي مبـاركًا أينمـا كُنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا * وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا * والسلام علي يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حيًا ﴾ .

لا شك أن عيـسى - عليه السلام - تكلَّم في المهـد كما جاء في سـورة مريم المكية قال تعالى : ﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نُكلـم من كان في المهد صبيًا * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا.... ﴾[٢] الآية .

وكما قـال رسول الله ﷺ : « لم يتكلم في المهـد إلا ثلاثة : عـيسى بن مـريم .....»[٣] .

إلا إنَّ العلماء اختلفوا في بداية تكلُّم عيسى- عليه السلام - في المهد .

هل كان عندما كان في شرقي المسجد الأقصى ؟

أو كان عندما رجعت مريم ومعها ولدها ودخلت على قومها ؟

وإليك البيان : قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ

---

(١) اسم عبراني .

(٢) سورة مريم : [٢٩ ، ٣٠].

(٣) رواه البخاري في كـتاب أحاديث الأنبياء في بابين رقم (٣٤٣٦) ،ومسلم في كـتاب البر والصلة باب : تقديم بر الوالدين على التطوع ، وأحمد (٢/ ٣٩٥ ، ٣٨٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤).

أَمْراً مَّقْضِيّاً ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ﴿٣١﴾ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة مريم : ١٦-٣٣] .

إذا نحن تجاوزنا حادث خلق الإنسان أصلاً وإنشائه على هذه الصورة ، فإن حادث ولادة عيسى ابن مريم يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها كله ، ويكون حادثًا فذًا لا نظير له من قبله ولا من بعده .

والبشرية لم تشهد خلق نفسها وهو الحادث العجيب الضخم في تاريخها ! لم تشهد خلق الإنسان الأول من غير أب وأم وقد مضت القرون بعد ذلك الحادث فشاءت الحكمة الإلهية أن تبرز العجيبة الثانية من غير أب على غير السُنّة التي جرت منذ وُجد الإنسان على هذه الأرض ، ليشهدها البشر ، ثم تظل في سجل الحياة الإنسانية بارزة فذة تتلفت إليها الأجيال ، إن عزَّ عليها أن تتلفت إلى العجيبة الأولى التي لم يشهدها إنسان !

- لقد جرت بسُنّة الله التي وضعها لامتداد الحياة بالتناسل من ذكر وأنثى في جميع الفصائل والأنواع بلا استثناء ، حتى المخلوقات التي لا يوجد فيها ذكر وأنثى متميزات تتجمع في الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتأنيث .

جرت هذه السُنة أحقابًا طويلة حتى استقر في تصور البشر أنَّ هذه الطريقة الوحيدة ، ونسوا الحادث الأول حادث وجود الإنسان لأنه خارج عن القياس ، فأراد الله أن يضرب لهم مثل عيسى ابن مريم - عليه السلام - ليذكرهم بحرية القدرة وطلاقة الإرادة . وأنها لا تحتبس داخل النواميس التي تختارها ولم يتكرر حادث عيسى لأن الأصل هو أن تجري السُنة التي وضعها الله ، وأن يُنفذ الناموس الذي اختاره .

وهذه الحادثة الواحدة تكفي لتبقى أمام أنظار البشرية معلمًا بارزًا على حرية المشيئة . وعدم احتباسها داخل حدود النواميس ﴿ **ولنجعله آيةً للناسِ** ﴾ ......

والسياق يُخرج القصة في مشاهد مثيرة حافلة بالعواطف والانفعالات ، التي تهز من يقرؤها هزًا كأنها هو يشهدها . ﴿ **واذْكُر في الكتابِ مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا** ﴾ .

هذا هو المشهد الأول :

فتاة عذراء قدِّيسة ، وهبتها أمها وهي في بطنها لخدمة المعبد ، لا يعرف عنها أحد إلا الطهر والعفَّة حتى لتُنسب إلى هارون أبي سدنة المعبد الإسرائيلي المتطهرين - ولا يُعرف عن أسرتها إلا الطيبة والصلاح من قديم .

ها هي ذي تخلو إلى نفسها لشأن من شئونها التي تقتضي التواري من أهلها والاحتجاب عن أنظارهم . ولا يحدد السياق هذا الشأن ، ربما لأنه شأن خاص جدًا من خصوصيات الفتاة .

وها هي ذي في خلوتها ، مطمئنة إلى انفرادها ، ولكن ها هي ذي تُفاجأ مفاجأة عنيفة . . . إنه رجل مكتمل سوي ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويْاً** ﴾ .

. وها هي ذي تنتفض انتفاضه العذراء المذعورة يفجؤها رجلٌ في خلوتها . فتلجأ إلى الله تستعيذ به وتستنجد وتستثير مشاعر التقوى في نفس الرجل والخوف من

الله والتحرج من رقابته في هذا المكان الخالي : ﴿ قالت إني أعُوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا ﴾ .

فالتقيّ ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن ويرجع عن دفعة الشهوة ونزع الشيطان .

وهنا يتمثل الخيال تلك العذراء الطيبة البريئة ذات التربية الصالحة ، التي نشأت في وسط صالح ، وكفلها زكريا بعد أن نذرت لله جنينًا . . . . وهذه هي الهزة الأولى ﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا ﴾ . وليتمثل الخيال مقدار الفزع والخجل ، وهذا الرجل السوي - الذي لم تثق بعد أنه رسول ربها - فقد تكون حيلة فاتك يستغل طيبتها - يصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول ،وهو يريد أن يهب لها غلامًا ، وهما في خلوة - وهذه هي الهزة الثانية .

ثم تدركها شجاعة الأنثى المهددة في عرضها ! فتسأل في صراحة كيف ؟ ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا ﴾ هذا في صراحة ، وبالألفاظ المكشوفة . فهي والرجل في خلوة والغرض من مباغتته لها قد صار مكشوفًا ، فما تعرف هي بعد كيف يهب لها غلامًا ؟ وما يُخفف من روع الموقف أن يقول لها ﴿ إنما أنا رسولُ ربك﴾ ، ولا أنه مُرسل ليهب لها غلامًا طاهرًا غير مُدنس الولد ، ولا مُدنس السيرة ، ليطمئن بالها .

فالحياء هنا لا يُجدي ، والصراحة أولى . كيف ؟ وهي عذراء لم يمسسها بشر، وما هي بغي فتقبل الفعلة التي تجئ منها بغلام ! .

ويبدو من سؤالها أنها لم تكن تتصور حتى اللحظة وسيلة أخرى لأن يهبها غلامًا إلا الوسيلة المعهودة بين الذكر والأنثى . وهذا هو الطبيعي بحكم التصور البشري ﴿ قال كذلك قال ربك هو عليّ هيِّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا﴾ . فهذا الأمر الخارق الذي لا تتصور مريم وقُوعه هين على الله ، فأمام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون ، كل شيء هيِّن ، سواء جرت به السُنة المعهودة أو جرت

بغيره .

والروح يخبـرها بأن ربها يخبرها بأنَّ هذا هيِّن عليـه ، وأنه أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس ، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته .

ثم تمضى القصـة في مشهـد جديد من مشـاهدها ، فتعـرض هذه العذراء في موقف آخر أشد هولاً .

﴿ فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًا * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متُ قبل هـذا وكُنت نسيًا منسيًا ﴾ وهذه هي الهزة الثالثة . . . فلنشهد مريم تنتبذ مكانًا قصيًا عن أهلها ، في موقف أشد هولاً من موقفها الذي أسلفنا ، فلئن كانت في المشهد الأول تواجه الحصانة والتربـية والأخلاق بينها وبين نفسها ، فهي هنا وشيكة أن تواجـه المجتمع بالفضـيحة ، ثمَّ هي تواجه الآلام الجسـدية بجانب الآلام النفسية تواجه المخـاض الذي (أجاءها) إجاءة إلى جذع النخلة ، واضطرها اضطراراً إلى الاستناد عليـها ،وهي وحيـدة فريدة ، تعاني حيـرة العذراء في أول مخاض ، ولا علم لها بشيء ، ولا مُعين لها في شيء ، فإذا هي قالت : **﴿ يا ليـتني متُ قـبل هذا وكُنت نسـيًا منسـيًا ﴾** فـإننا لنكاد نرى ملامـحهـا ، ونُحس اضطراب خواطرها ، ونلمس مواقع الألم فيها ، وهي تتمنى لو كانت نسيًا[1] .

وفي حدة الألم وغمرة الهول تقع المفاجأة الكبرى **﴿ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سـريًا * وهُزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا * فكُلي واشربـي وقري عينًا فـإما ترين من البـشر أحـداً فقولي إني نذرت لـلرحمن صومًا فلن أُكلم اليوم إنسيًا ﴾**

فناداها مَن تحـتـهـا بالفـتح وقُرأ بكسـر الميـم (مِن) نافع وحـمـزة والكسـائي وحفـص[2] .

(١) في ظلال القرآن : (٤/ ٢٣٠٤-٢٣٠٧) باختصار .

(٢) تفسير الرازي (١٠/ ٤٣٤) ،والقرطبي (١١/ ٩٣) ، وابن كثير (٣/ ١١٧).

* في المنادى ثلاثة أوجه :

الأول : أنه عيسى - عليه السلام - وهو قول الحسن وسعيد بن جبير .

والثاني : أنه جبريل - علـيه السلام - وأنه كان كالقـابلة للولد ، وهو الأظهر وبه قال الأكثر .

والثالث : أنَّ المُنادى على القـراءة بالكسر هو المـلك وعلى القراءة بالفـتح هو عيسى - عليه السلام - وهو مروي عن ابن عُيينة وعاصم .

والقول بأن عيسى هو المُنادى هو الأقرب لوجوه :

الأول : أن قوله ﴿ **فناداها من تحتها** ﴾ بفتح الميم إنما يُسـتعمل إذا كـان قد علم قبل ذلك أنَّ تحتها أحدًا ، والذي عُلم كونه حاصلاً تحتها هو عيسى - عليه السلام - فوجب حمل اللفظ علـيه ، أمَّا القراءة بكسر الميم فهي لا تقـتضي كون المنادى جبريل - عليه السلام - فقد صحَّ قولنا .

والثاني : أنَّ ذلك الموضع مـوضـع اللوث والنظر إلى العـورة وذلك لا يليق بالملائكة .

والثالث : أنَّ قوله ﴿ **فنادها** ﴾ فعل ولابد أن يكون فاعله قـد تقدَّم ذكره ، ولقد تقدم قبل هذه الآية ذكر جبريل وذكر عيـسى - عليهما السلام - إلا أن ذكر عيسى أقرب لقوله تعالى : ﴿ **فحلمته فانتبذت به** ﴾ والضمير ههنا عائد إلى المسيح فكان حمله عليه أولى .

والرابع : وهو دليل الحسن بن علي - عليه السلام - أن عـيسى - عليه السلام - لو لم يكن كلمـها لما علمت أنه ينطق ، فمـا كانت تُشـير إلى عيـسى - عليه السلام - بالكلام[1] .

يا الله ! طفل وُلد اللحظـة يناديها من تحـتهـا يطمئـن قلبهـا ويصلها بربهـا ،

---

(١) تفسير الرازي (١٠/ ٤٣٥) .

ويُرشدها إلى طعامها وشرابها ،ويدل على حجتها وبرهانها !

لا تحزني : ﴿ قد جعل ربك تحتك سريًا ﴾ فلم ينسك ولم يتركك ، بل أجرى لكِ تحت قدميك جدولاً ساريًا الأرجح أنه جرى للحظته من ينبوع أو تدفق من مسيل ماء في الجبل ، وهذه النخلة التي تستندين إليها هزيها فتساقط عليك رطبًا ، فهذا طعام وذاك شراب ، والطعام الحلو مُناسب للنُفساء ، والرطب والتمر من أجود طعام النفساء ﴿ فكلي واشربي ﴾ هنيئًا ﴿ وقري عينًا ﴾ واطمئني قلبًا ، فأما إذا واجهتِ أحدًا فأعلنيه بطريقة غير الكلام ، أنكِ نذرتِ للرحمن صومًا عن حديث الناس وانقطعت إليه للعبادة ، ولا تُجيبي أحدًا عن سؤال .

ونحسبها قد دُهشت طويلاً ، وبُهتت طويلاً ، قبل أن تمد يدها إلى جذع النخلة تهزه ليساقط عليها رطبًا جنيًا ، ثم أفاقت فاطمأنت إلى أن الله لا يتركها ، وإلى أن حجتها معها ، هذا الطفل الذي ينطق في المهد ، فيكشف عن الخارقة إلى جاءت به إليها .

﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ فلنشهد هذا المشهد المثير .

إننا لنتصور الدهشة التي تعلو وجوه القوم ، ويبدو أنهم أهل بيتها الأقربون في نطاق ضيِّق محدود - وهم يرون ابنتهم الطاهرة العذراء الموهوبة للهيكل العابدة المنقطعة للعبادة يرونها تحمل طفلاً !

إنَّ ألسنتهم لتنطق بالتقريع والتأنيب ﴿ يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا ﴾ فظيعًا مستنكرًا ثمَّ يتحول السخط إلى تهكم مرير ﴿ يا أخت هارون ﴾ النبي الذي تولى الهيكل هو وذريته من بعده والذي تنتسبين إليه بعبادتك وانقطاعك لخدمة الهيكل ، فيا للمفارقة بين تلك النسبة التي تنتسبيها وذلك إلى الفعل الذي تقارفينه ! .

وهذا على معنى أنها أخت هارون في الطاعة وهوالأقرب والأرجح . ﴿ ما كان أبوك امرأ سوءٍ * وما كانت أمك بغيًا ﴾ حتى تأتي بهذه الفعلة التي لا يأتيها إلا بنات آباء السوء والأمهات البغايا ! .

وتنفذ مـريم وصية الطفل العجـيب التي لقَّنها إياها . ﴿ فأشـارت إليه ﴾ فماذا نقول في العـجب والغيظ الذي سـاورهم وهم يرون عذراء تواجهـهم بطفل ، ثمَّ تتبجح فـتسخر ممَّن يستنكرون فعلتـها فتصمت وتُشيـرلهم إلى الطفل ليسألوه عن سرها . ﴿ قالوا كيف نُكلم من كان في المهدِ صبيًا ﴾ .

ولكن ها هي ذي الخارقه العجـيبة تقع مرة أخرى[1] ، وتُكلم في المهد في هذا الموضع بالإجماع قائلاً ﴿ إني عبدُ الله ﴾ أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبوديةَ لربه ،وهذا فيه أبلغ رد على المسيحيين الذين زعموا أنه إله أو ابنًا للإله أو ثالث ثلاثة .

وفيه رد على اليهود الذين اتهموا أمه - عليها السلام - بالزنا .

وفيه مدح للموحدين من المسلمين والنصـارى الذين قالوا : إن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

وقوله :﴿ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًا ﴾ تبرئة لأمه مما نُسبت إليه من الفاحشة ، قال نوف المكالي : لما قالوا لأمـه ما قالوا : كان يرتضع ثديه فنزع الشـدي من فمه واتكأ على جنبه الأيسـر ، رفع أصبعه السبـابة فوق منكه وهو يقول : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجـعلني نبيًا ﴾ وقال عكرمة ﴿ آتاني الكتاب ﴾ أي قـضى أنه يوتيني الكتاب فيما قضى .

والمراد بالكتاب الإنجيل على الأرجح . ﴿ وجعلني مباركًا أينما كُنت ﴾ ذكروا في تفسير المبارك وجوهًا :

أحدها : أنَّ البركة في اللغة هي الثبات ، وأصله من بُروك البعير فمعناه جعلني ثابتًا على دين الله مستقرًا عليه .

ثانيها: أنه إنما كان مُباركًا لأنه كان يُعلِّم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق

---

(١) تفسير الظلال (٤/٢٣٠٧- ٢٣٠٨).

فإن ضلوا فمن قبل أنفسهم لا من قبله . قاله مجاهد وعمرو بن قيس والثوري .

ثالثها : البركة الزيادة والعلو ، فكأنه قال : جعلني في جميع الأحوال غالبًا مفلحًا منجحًا ، لأني ما دمت أبقى في الدنيا أكون على الغير مستعليًا بالحجة ، فإذا جاء الوقت المعلوم يكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء .

رابعها : مبارك على الناس بحيث يحصل بسبب دعائي إحياء الموتى وإبرار الأكمه والأبرص .

قال قتادة : ذُكر لنا أن عيسى - عليه السلام - رأته امرأة يُحيي الموتى ، ويُبرئ الأكمه والأبرص في سائر زمانه فقالت : طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي أرضعك .

فقال لها عيسى - عليه السلام - : طوبى لمن تلا كتاب الله تعالى وأتبع ما فيه وعمل به .

خامسها : قيل لبعضهم : ما بركته ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] .

- وقوله : ﴿ **وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دُمت حيًا** ﴾ .

كقوله تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس في قوله : ﴿ **وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دُمت حيًا** ﴾ قال : أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت ما أبينها لأهل القدر .

وقوله : ﴿ **وبرًا بوالدتي** ﴾ أي وأمرني ببر والدتي ذكره بعد طاعة ربه لأنَّ الله

(١) تفسير الرازي (١٠/ ٤٥١) ، وتفسير القرطبي (١١/ ١٠٥) ، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٢٠) .

تعالى كثيرًا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى : ﴿ وقضى ربُك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا ﴾ وقال ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير ﴾ . وفيه إشارة إلى تنزيه أمه عن الزنا إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأمورًا بتعظيمها[١] .

وقوله : ﴿ ولم يجعلني جبارًا شقيًا ﴾ أي ولم يجعلني جبارًا مستكبرًا عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك ، قال سفيان الثوري : الجبار الشقي : الذي يقتل على الغضب .

وقال بعض السلف : لا تجد أحدًا عاقًا لوالديه إلا وجدته جبار شقيًا ثم قرأ ﴿وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا ﴾ .... وقوله : ﴿ والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا ﴾ إثبات منه لعبوديته لله - عز وجل - وأنه مخلوق من خلق الله يُحيي ويُمات ويُبعث كسائر الخلائق ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه[٢] .

وقد قيل إن عيسى - عليه السلام - تكلَّم بكلام عظيم .

قال إسحاق بن بشر أنبأنا عثمان بن ساج وغيره عن موسى بن وردان عن أبي نضرة عن أبي أسيد وعن مكحول عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : إنَّ عيسى ابن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلَّم به وهو طفل فمجَّد الله تمجيدًا لم تسمع الآذان بمثله ، لم يدع شمسًا ولا قمرًا ولا جبلاً ولا نهرًا ولا عينًا إلا ذكره في تمجيده فقال :

« اللهمَّ أنت المسبح في عُلوك ، المتعال في دنوك ، الرفيع على كل شيء من خلقك ، أنت الذي خلقت سبعًا في الهواء بكلماتك مستويات طباقًا أجبن وهو دُخان من فرقك[٣] ، فأتين طائعات لأمرك فيهن ملائكتك يُسبِّحون قدسك

(١) تفسير الرازي (١٠/ ٤٥٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٠).
(٣) فَرْقك : خوفك .

لتقديسك ، وجعلت فيهن نورًا على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالنهار، وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد .

فبعزتك يجلو ضوء ظلمتك ، وجعلت فهن مصابيح يهتدي بهن في الظلمات الحيرات ، فتباركت اللهم فيما فطرت من سمواتك ، وفيما دحوت من أرضك دحوتها على الماء ، فسمكتها على تيار الموج الغار فأذللتها إذلال التظاهر فذلّ لطاعتك صعبها ، واستحيى لأمرك أمرها ، وخضعت لعزتك أمواجها ، ففجرت فيها بعد البحور الأنهار ، ومن بعد الأنهار الجداول الصغار ، ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار ، ثم أخرجت منها الأنهار والأشجار والثمار ، ثم جعلت على ظهرها الجبال فوتدتها أوتادًا على ظهر الماء فأطاعت أطوارها وجلمودها.

فتباركت اللهم فمن يبلغ بنعته نعتك ، أمن يبلغ بصفته صفتك؟! تنشر السحاب وتفك الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن نستغفرك من كل ذنب ، لا إله إلا أنت سبحانك ، سترت السموات عن الناس ، إلا إله إلا أنت سبحانك ، إنما يغشاك عبادك الأكياس .

نشهد أنك لست بإله استحدثناك ،ولا رب يبيد ذكره ، ولا كان معك شركاء فندعوهم ونذكرك ، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشكُّ فيك ، نشهد أنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفوًا أحدًا (١) .

* * * * *

(١) البداية والنهاية : (١/ ٧٠ ، ٧١).

المتكلمون في المهد

[٢] صاحب جريج

قال : « فلان الراعي » أنا ابن الراعي

غلام جريج

عن أبي هريرة عن النبي - صلـى الله عليه وسلم - قـال : « لم يتكلم في المهـد إلا ثلاثة : عيـسى بن مريم ، وصـاحب جريج ، وكـان جُريج رجلاً عـابدًا ، فاتخذ صـومعة ، فكان فيهـا ، فأتته أمه وهو يُصلِّي ، فقـالت : يا جُريج ، فقال : يا رب ، أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فانصرفت .

فلمَّا كان من الغد ، أتته وهو يُصلى ، فقالت : يا جُريج ، فقال : أي ربِّ أمي وصـلاتي ، فـأقـبل على صـلاته ، فـقـالت : اللهم لا تُمِته حـتى ينظر إلى وجـوه المومِسات .

فتـذاكر بنوا إسـرائيل جُريجًا وعبـادته ، وكانت امـرأة بغي يتمـثل بحسـنها ، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم » .

قال : فتـعرضت له ، فلم يلتفت إليهـا ، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومـعته ، فأمكنته من نفسها ، فـوقع عليها ، فحَمَلت ، فلمَّا وَلَدتْ ؛ قالت : هو من جُريج ، فأتوه ، فاستنزلوه ، وهدموا صومعته ، وجعلوا يضربونه ،فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغي فولدت منك ، فقال : أين الصبي [١] ؟ فجاءوا به ، فقال : دعوني حتى أُصلِّي ، فصـلى فلما انصرف ؛ أتى الصبي فطعن في بطنـه ، وقال : يا غلام ، من أبوك : قال : فلان الراعي .

---

(١) اسم هذا الغلام يابوس كما جاء مصرحًا به في رواية البخاري .

قال : فأقبلوا على جُريج ؛ يُقبِّلونه ويتمسحون به ، وقالوا : نبني لك صومعتك من ذهب ، قال : لا أعيدوها كما كانت ، ففعلوا .

وبينا صبي يرضع من أمه ، فمرَّ رجلٌ راكب على دابة فارهة ، وشارة حسنة ، فقالت أمه : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فترك الثدي وأقبل إليه ، فنظر إليه فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديه ، فجعل يَرْتضع .

قال : فكأني أنظر إلى رسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه ، فجعل يمصُّها .

قال: ومرَّوا بجارية وهم يضربونها ويقولون : زنيتِ سَرقتِ ، وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل . فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ،ونظر إليها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها .

فهناك تراجعا الحديث ، فقالت : حَلْقي ، مرَّ رجل حسن الهيئة ، فقلت : اللهم اجعل ابني مثله ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون ، زَنَيْت ، سرقْت ، فقلت : اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فقلت : اللهم اجعلني مثلها ، قال : إنَّ ذلك الرجل كان جباراً ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، وإن هذه يقولون لها : زنيْتِ ولم تزنِ ، وسرقتِ ولم تسرق ، فقلت : اللهم اجعلني مثلها »[1] .

المعاني :

- يارب أمي وصلاتي : أي اجتمع عليَّ إجابة أمي وإتمام صلاتي ، فوفقني لأفضلهما .-

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٦) في أحاديث الأنبياء في بابين ، ومسلم في البر والصلة باب : تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرهما ، وأخرجه أحمد (٢/ ٣٩٥، ٣٨٥، ٤٣٣ ، ٤٣٤) ، وأبو يعلى (١١/١٧٨-١٧٩) ، وأخرجه البيهقي في الآداب (١٠٧٩) ،وابن أبي الدنيا في مجابي الدعوة رقم (١).

- المومِسات : جمع مومسة ، وهي البغي الزانية المجاهرة .

- يُتمثل بحسنها : أي يُضرب به المثل .

- فتعرضت : أي عرضت نفسها عليه ليواقعها .

الفــوائـــد :-

١- المتكلمون في المهد أكثر من واحد منهم غلام جُريج .

٢- عِظم بر الوالدين .

٣- قد يُجاب دعاء الأم على ولدها.

٤- تُقطع صلاة النافلة لإجابة الأم.

٥- استحباب الصلاة عند نزول الشدائد .

٦- ذم الكبر والإعجاب بالنفس .

٧- المظلوم له فضل ومزيَّة عند الله - تعالى - . .

٨- من أكثر دعاء الله في الرخاء فإنه يستجيب له في البلاء .

وبعد فهذه قـصة جميلة ذكرت ثلاثة ممَّن تكملوا في المهـد : « عيسى - عليه السلام - ، وغلام جريج ، وغلام المرأة .

٩- النظر إلى الصور فـيه فتنة عظـيمة ، ولذا فإن الإسـلام نهى عن النظر إلى الأجنبيات.

* * * * *

المتكلمون فى المهد

[٣] ابن امـرأة الأخدود

« يا أماه اصبري فإنك على الحق ».

عن صهيب - رضي الله عنه - أن رسـول الله - صلى الله عليه وسلم قال : «كان مَلك فيـمن كان قبلكم وكان له ساحـر فلما كبر قال للملك . إني قـد كبرت فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر ، فبـعث إليه غلامًا يعلمه وكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعـجبه ، وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال :

إذا خشيت الساحر ، فقل : حبـسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك ، فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال :

اليوم أعلم السـاحر أفضل أم الـراهب أفضل ؟ فأخـذ حجراً ، فـقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليـك من أمر الساحر فاقـتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أي بُني أنت اليـوم أفضل مني ، قـد بلغ من أمرك مـا أرى وإنك ستُبـتلى ، فإن ابتليت فـلا تدل عليَّ ، وكـان الغـلام يبـرئ الأكـمـه والأبرص ، ويداوي الناس من سـائر الأدواء فسمع جليسٌ للملك كـان قد عَمى ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فـقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيـتني ، فقال : إني لا أشفي أحدًا إنما يشفـي الله تعالى ، فإن آمنت بالله دعوت الله فـشفاك ، فآمن باللـه تعالى فشفـاه الله تعالى ، فأتى الملك فـجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك : من ردَّ عليك بصرك ؟ قال :ربي ، قال : ولك ربٌ غـيري ؟! قـال : ربي وربك الله ، فأخـذه فلم يزل يُعـذِّبه حتى دلَّ على الغـلام ، فجئ بالغلام فـقال له الملك : أي بُني قد بلغ من سحرك ما تبـرئ الأكمه والأبرص وتفعـل فقال : إني لا أشـفي أحداً ، إنما يشـفي الله تعالـى ، فأخذه فلم يـزل يُعذِّبه

حتى دل على الراهب ، فجئ بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فدعا بالمنشار فوُضع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شُقَّاه ، ثم جئ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فَدَفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحره فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فُعِل بأصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فُعِلَ بأصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى ، فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال : ما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ، ثم خُذ سهمًا من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل : بسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهمًا من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوقع السهم في صُدغه فوضع يده في صُدغه فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فأُتي الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حَذَرُك ، قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود بأفواه السكك ، فخُدَّت وأضرم فيها النيران ، وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : « يا أماه اصبري فإنك على الحق»[1] .

---

(١) مسلم في الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ، وأحمد (٦/ ١٧ ، ١٨)، والنسائي في الكبرى كما في التحفة (٤/ ١٩٨) ، والطبراني في الكبير (٧٣١٩، ٧٣٢٠) ، وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٥١) ، وابن حبان (٨٧٣) ، والترمذي (٣٣٤٠).

المعاني :

الأكمه : هو الذي وُلِد أعمى .

الأدواء : جمع داء وهو المرض .

مفرق رأسه : أي وسطها .

ذُروته : بضم الذال وفتحها أي : أعلاه .

فرجف بهم الجبل : أي اضطرب وتحرك حركة شديدة .

القُرقُور : السفينة الصغيرة والزورق وهو بضم القافين .

فتوسطوا به : جاء في رواية « لججوا به » أي اقتحموا به اللجة وهي معظم الماء كاللج ، ومنه بحر لُجيٍّ .

انكفأت : انقلبت .

كبد القوس : مقبضها عند الرمي .

أفواه السكك : أي أبواب الطرقات .

خَدَّت : حُفر فيها الأخدود ، وهي الحفرة المستطيلة من الأرض .

أُضرم النيران : أي أوقدها .

فاحموه فيها : أي ارموه فيها ، وهو في عامة النسخ هكذا وجاء في بعضها « فاقحموه فيها : اطرحوه فيها طرحًا .

اقتحم : دخل .

فتقاعست : توقفت ولزمت موضعها .

والمقصود من إيراد هذا الحديث - على طوله - أنَّ المرأة لما جئ بها لتلقى في أخاديد النيران توقفت ولزمت موضعها من أجل ولدها فإذا برب العالمين يجعل الغلام يتكلم في المهد قائلاً « **اصبري فإنك على الحق** » ليكون تثبيتًا لها حتى لا

ترجع عن دينها .

وممَّا يُستفاد من الحديث السابق .

- ثبات الأولين من المؤمنين على إيمانهم .

- الشدائد والمحن تصقل الإنسان ، فيعرف بها قوي الإيمان .

- الابتلاء سُنة ربانية لا تتخلف أبدًا .

- ينبغي للعبد أن لا يتمنى لقاء العدو فإذا لقاهُ صبر .

- ينبغي للعبد أن لا يُعرِّض نفسه للابتلاء والمحن ، فالراهب طلب منه ألا يدل عليه ، فلمَّا ابتلى صبر حتى نُشر بالمنشار .

- إثبات الكرامة للأولياء ، وليست بلازمة لكل ولي .

- هناك أشياء لا تجوز نسبتها حقيقة إلا لله منها ، الشفاء وإبراء الأكمه والأبرص .

- الملوك في غابر الزمان كانوا دائمًا يستخدمون السحرة والمتكهنين في مصالحهم الشخصية .

- فيه دليل على أن السحر حقيقة وهو علم له أصول ، لكن السحر والشعوذة والتنجيم والرمل . . . . من العلوم المحرمة .

- المعركة بين المؤمنين وأعدائهم أساسها حرب عقيدة .

- جواز الكذب في الحرب ونحوها ، وفي إنقاذ النفس من الهلاك ، سواء نفسه ، أو نفس غيره ، ممن له حرمة .

- إيثار انتشار الدعوة إلى الله تعالى على الحياة الدنيا .

- على الدعاة أن يعملوا على خدمة الناس ومساعدتهم ، فقد كان الهدف من قتل الدابة حل مشكلة الناس .

- الشجاعة : الوصول إلى المراد وإن قُتلت .

المتكلمون فى المهد

[٤] الصبي الرضيع

« اللهم لا تجعلني مثله . . . . اللهم اجعلني مثلها . . . . » .

قال رسول الـله – صلى الله عليه وسلم – : « لم يتكلم في المهـد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم ، وصاحب جُريج .....» . « وبينا صبي يرضع في أمه ، فمرَّ رجل راكب على دابة فارهة[1] ، وشارة[2] حسنة ، فـقالت أمه : اللهم اجـعل ابني مثل هذا ، فترك الثدي وأقـبل إليه فنظر إليه فقال : اللهم لا تجـعلني مثله ، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع» .

قال أبو هريـرة : فكأني أنظر إلى رسول الله – صلى الله عليـه وسلم – وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه ، فجعل يمصُها . قال : « ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت ، سرقت ، وهـي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقـالت أمه : الـلهمَّ لا تجعل ابني مـثلها فـترك الرضـاع ،ونظرٍ إليهـا فقـال : اللهمَّ اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث[3] ، فقالت : حلقي[4] مر رجلٍ حسن الهيئة ، فقلتَ : اللـهمَّ اجعل ابني مثله فـقلتَ : اللهم لا تجعلني مـثله ، ومرُوا بهـذه الأمة وهم يضربـونها ويقولون : زنيـت ، سرقت ، فقلت : الـلهم لا تجعل ابني مـثلها ، فقلت :اللهم اجعني مثلها[5] قـال : إن ذلك الرجل كان جـباراً فـقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، وإن هذه يقولون لها : زنيت ولـم تزنِ ، وسرقتِ ولـم تسرق ، فقلتُ ، اللهـم اجعلني مثلها »[6] .

---

(١) الفارهة : النشيطة القوية . (٢) الشارة : الهيئة واللباس .

(٣) تراجعـا الحديث : أي أقـبلت على ابنها الرضـيع تُحـدِّثه ، وإنما كانت في البـدء ، لاتراه أهلاً للكلام .

(٤) حَلْقَي : دعاء عليه ، أي أصابه الله بوجعٍ في حَلْقه .

(٥) اجعلني مثلها : في السلامة من الآثام.

(٦)رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء في بابين رقم (٣٤٣٦) ، ورواه مسلم في البر والصلة ، باب : تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

المتكلمون فى المهد

[٥] ابن ماشطة بنت فرعون

« قعي يا أمِ ولا تقاعسي فإنك على الحق ».

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لمَّا أُسري بي مَرَّت بـي رائحة طيبة فقلـت : ما هذه الرائحـة. قال : أي جبـريل : ماشطة بنت فـرعون وأولادها سـقط المشط من يدها فقـالت : بسم الله . فقالت بنت فرعون : أبي ، قـالت : ربي وربك وربُّ أبيك قالت : أو لك ربٌ غير أبي ؟ قـالت : نعم ربي وربُّك وربُ أبيك الله ، قـال :[1] فدعاها[2] فقال : ألك ربٌ غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله فأمر ببقرة من نحاس فأُحميت ثم أمر بها لتُلقَّى فيهـا وأولادها فألقوا واحداً واحداً حـتى بلغ رضيعًا فيهم فـقال : قعي يا أمِ ولا تقـاعـسي فـإنـك على الحق .....» رواه أحمـد والبزار وابن حبـان والحاكم وغيرهم.

لمَّا دعا موسى - عليه السلام - قـومه إلى الله - عز وجل - كان ممَّن آمن على يديه ماشطة بنات فرعون.

وفي ذات يوم من الأيام كانت هذه المؤمنة تمشط شعر ابنة فرعون - لعنه الله - سقط مشطهـا من يدها ، فقالت : بسم الله ، إنها توحِّد الـله تعالى - وتذكره، ولا تغفل عن ذكره ، وأحست ابنـة فرعون بكلمة جديدة لم تسمعـها ممَّن يعبدون أبيها فقالت منكرة وسائلة : أبي ، فقالت الماشطة في غيرة وغضب لله - سبحانه - ربي وربُّك وربُّ أبيك الله ، وهنا انتفضت البنت قائلة : أوَلك ربٌّ غير أبي ، فأجابت الموحدة بلسان الصدق : نعم ربي وربُّك وربُّ أبيك الله .

(١) قال : أي جبريل - عليه السلام -.
(٢) أي فرعون - لعنه الله- .

ووصل هذا الخطاب التوحيدي إلى فرعون ، وما كان من فرعون إلا أن دعاها إليه ، ولم يذهب هو إليها ، إنه الله ولا شك أنه قابلها في أبهى الحلل وأجمل الثياب في قصره المشيد ، وحوله الجنود والعبيد .

وبغلظة وشدة سألها : ألكِ ربٌّ غيري ؟ فصرخت الموحدة في معقل الكفر قائلة : ربي وربُّك الله .

عندئذ استشاط فرعون غضبًا ، وعاد إلى سياسته القديمة ﴿ **لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين** ﴾[1] .

وأمر فرعون ببقرة من نحاس فأحميت لتلقى فيها هي وأولادها ، وقبل بداية الحرق قالت الماشطة : إنَّ لي إليك حاجة ، قال فرعون : وما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع واحد ، قالت : ذاك لك لما لكِ علينا من الحق أرأيت مخلوقًا حقيرًا مثل هذا ؟!

إنه لو أراد أن يعطيها حقها لتركها ، وماذا تصنع امرأة ضعيفة ؟ وماذا يضيره إيمانها ؟ إنها الفرعنة ، وإنهم الفراعنة ، وأحرق ولدها الأول ، وهي تنظر ومعها بقية أولادها .

وأحرق الثاني والثالث . . . إلى أن جاء الدور على ولدها الأصغر الذي كان في الرضاعة ، فقال مثبتًا لها : يا أم قعي ولا تقاعسي . اقفزي ولا تراجعي ، وهنا نزلت النيران ولم تتراجع .

* * * * *

---

(١) سورة الشعراء : [٢٩].

المتكلمون في المهد

[٦] شاهد يوسف - عليه السلام -

﴿ إن كان قميصه قُدَّ من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُدَّ من دُبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لَمَّا أُسري بي مَرَّت بي رائحة طيبة ، فقلت : ما هذه الرائحة ؟ قال[1] : ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت : بسم الله . فقالت بنت فرعون : أبي ؟ قالت : ربي وربك وربُّ أبيك !! قالت : أو لك ربٌ غير أبي ؟ قالت : نعم ربي وربُّك وربٌّ أبيك الله !! قال : فدعاها[2] فقال : أَلك ربٌّ غيري؟ قالت : نعم ربي وربك الله عز وجل قال فآمر ببقرة من نُحاس فأُحميت ، ثم أمر بها أن تُلقى فيها ، قالت : إن لي إليك حاجة ، قال : ما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع ، قال : ذاك لك لما لك علينا من الحق ، قال : فأمر بهم فألقوا واحدًا واحدًا حتى بلغ رضيعًا فيهم فقال : يا أمه قعي ولا تقاعسي فإنك على الحق قال : وتكلم أربعة في المهد وهم صغار

- هذا .
- وشاهد يوسف .
- وصاحب جُريج .
- وعيسى ابن مريم - عليه السلام - »[3] .

---

(١) أي جبريل - عليه السلام -.

(٢) أي فرعون - لعنه الله- .

(٣) رواه أحمد ، وابن حبان والحاكم والبيهقي ، وقال الإمام ابن كثير : إسناد لا بأس به . انظر التفسير (٣/ ١٥) . سورة الإسراء [١] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى شاهد يوسف ، لكن لم يخبر أنه تكلم في المهد - فقال : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يُفلح الظالمون ۞ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى بُرهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المُخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دُبُر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يُسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهدٌ من أهلها إن كان قيمصه قُدَّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُدَّ من دُبُر فكذبت وهو من الصادقين ۞ فلما رأى قميصه قُدَّ من دُبُر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾[1] .

محنة إلقائه في الجب :

بعد المحنة الأولى التي وقعت ليوسف - عليه السلام - ينتقل القرآن الكريم ليوضح محنة أشد قسوة من الأولى إنها محنة امرأة العزيز .

والقرآن الكريم يُضفي على هذه المحنة الستر وهذا ديدنه في هذه المسائل ، والمربي الصالح يدرك هذه الحكمة الغالية ، فياليت أنَّ وسائل الإعلام في عصرنا تتقي - الله تعالى - ولا تلعب على وتر الجنس ، كفاهم ما أفسدوا ، فهم السبب الرئيسي في فساد شباب المسلمين.

تنطلق الآيات القرآنية بهمسات ولمسات خفيفة ، وتدع لأولى الألباب اكتشاف ما وراء الستار ، فلا شك أنَّ امرأة العزيز حاولت إغراء يوسف - عليه السلام - بكافة الوسائل والأساليب ، مرة ترتدي ملابس شفافة ، ومرة تطلب منه أن يجالسها على سريرها ، ومرة تحاول أن تقبله ،ومرة ومرة . . . . .

وأثناء عرض الحادث تضع الآيات القرآنية الأوسمة العليا ، والشهادات الكبرى التي لا ينالها إلا نبي معصوم - على صدر يوسف - عليه السلام - .

(١) سورة يوسف : [٢٣-٢٨] .

- ﴿ مكنّا ليوسف في الأرض ﴾ والتمكين يقتضي التاريخ المشرف لا تاريخ الخزي والفضيحة والعار .

- ووسام ثانٍ ﴿ ولنعلمه من تأويل الأحاديث ﴾ والعالم بهذا العلم النفيس النادر علماءه ينبغي أن يكون طاهرًا من الزنا .

- ووسام ثالث : ﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكمًا ﴾ . الحكمة العملية : الإصابة في العمل .

- ووسام رابع : وآتيناه ﴿ علمًا ﴾ الحكمة النظرية : الإصابة في القول والفهم.

- ووسام خامس : ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ ولا كذلك نجزي المسلمين ولا وكذلك نجزي المؤمنين ، فالمحسن أعلى درجة من المسلم ، وأعلى درجة من المؤمن والإحسان أعلى درجات الدين ، والإحسان يقوم على مراقبة الله تعالى .

- ووسام سادس : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء ﴾ مقدمات الزنا .

- ووسام سابع : لنصرف عنه ﴿ الفحشاء ﴾ الزنا .

- ووسام ثامن : ﴿ إنه من عبادنا ﴾ وعباد الله لا يقدر إبليس على إغوائهم ﴿إلا عبادك منهم المخلصين ﴾(1) .

- ووسام تاسع : إنه من : ﴿ المخلصين ﴾ .

والمُلاحظ أنَّ هذه الأوسمة لم تذكر في غير هذا الموضع في القرآن الكريم كله فهل العاصي ينال كل هذا التكريم في هذا المقام ؟! ناهيك أن يكون المتهم نبيًا رسولاً أو على طريق الوصول للنبوة ، فالآيات التي معنا تطير بجناحين ، جناح الستر . وجناح تكريم يوسف - عليه السلام - .

والآن نواجه النصوص : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ الآيات توضح

(1) سورة الحجر [٤٠] .

في أتم بيان أنَّ امرأة العزيز نزلت من عليائها لتسلم قيادها إلى عبدها ، وأنَّ هذا العبد كان مكرهًا مرغمًا لم يطلب منها فاحشة ، ولم يومئ إلى مقدماتها ولك أن تنظر إلى نفسيته في هذا الابتلاء ، إنه لو أطاعها لصار سيدًا أميرًا ولو عصاها لصار عبدًا حقيرًا .

ولكن يوسف - عليه السلام - لم يبالِ بمراودتها ، فما كان منها إلا أن غلقت الأبواب ، وفي تغليقها الأبواب أدلُّ دليل على أنها مصممة على الفاحشة سواء قبل عبدها أم رفض ، وهنا : قالت في رقة وحنان وتمايل وإثارة ، هيت لك .

وإذا بالرد الحاسم من يوسف - عليه السلام - ﴿ معاذ الله ﴾ إنه لجأ إلى من يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .

لاذ بالله ، واستعاذ بالله ، واستعان بالله ، والله - سبحانه - يجيب المضطر فهو القائل :

﴿ أمن يُجيب المُضطر إذا دعاهُ ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإلهٌ مع الله ﴾ [1] .

وصدق القائل :

يا صاحب الهم إن الهم منفرج	أبشر بخير فإنَّ الفارج الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه	لا تيأسن فإنَّ الكافي اللهُ
إذا بُليت فثق بالله وارض به	إن الذي يكشف البلوى هو اللهُ
والله ما لك غير الله من أحد	فحسبك الله في كل لك اللهُ
والله ما لك غير الله من أحد	فقل بقلب سليم حسبي اللهُ
لُذْ بالإله ولا تلذ بسواه	من لاذ بالمولى الكريم عطاهُ

(١) سورة النمل : [٦٢] .

قف بالخضوع وناد ربَّك ياه   إن الكريم من يُجيب من ناداهُ

وبعد أن لجأ إلى مولاه ليعصمه من المعصية لم ينس أن يعترف بفضل سيده عليه قائلاً ﴿ إنه ربي أحسن مثواي ﴾ وهذا من باب لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

ثم انتقل إلى بيان شؤم المعصية ﴿ إنه لا يُفلح الظالمون ﴾ الذين يتجاوزون حدود الله ، ويجترئون على المعاصي .

﴿ ولقد همت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ وهذه الآية قبل أن نعرض لتفسيرها نُشير إلى أنَّ .

* براءة يوسف – عليه السلام – من الزنا ومقدماته والهم المحرم لا يحتاج لدليل حتى لو كانت هذه الحادثة قبل النبوة ، فإنَّ الأنبياء معصومون من الكبائر قبل البعثة ، إلا أنَّا نزيد ههنا وجوها :

١– أنَّ الزنا من منكرات الكبائر ، والخيانة في معرض الأمانة أيضًا من منكرات الذنوب ، وأيضًا مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضًا من منكرات الذنوب ، وأيضًا الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقى مكفيَّ المؤنة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوته فإقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم المعظم من منكرات الأعمال .

إذا ثبت هذا فنقول :

إنَّ هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف – عليه السلام – كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ، ومثل هذه المعصية لو نُسبت إلى أفسق خلق الله – تعالى – وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه ، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول – عليه الصلاة والسلام – المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة .

القول الثاني : أنه تعالى قال في غير هذه الواقعة ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ وذلك يدل على أنَّ ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه ، ولا شك أنَّ المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع المعاصي وأفحش أقسام الفحشاء ، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئًا من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء !

وأيضًا فالآية تدل على قولنا من وجه آخر ،وذلك لأنا نقول :

هب أنَّ هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه ، إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكى عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ، ثم إنه يمدحه ويُثني عليه بأعظم المدائح والأثنية عقيب أن حكى عنه ذلك الذنب العظيم ، فإنَّ مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الأعمال ثم أنه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه، فإنَّ ذلك يُستنكر جدًا والله أعلم .

٣- أن الأنبياء - عليهم السلام - متى صدرت منهم ذلة أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع ، ولو كان يوسف - عليه السلام - أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار لو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع ، وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية .

٤- أنَّ كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف - عليه السلام- من المعصية .

واعلم أنَّ الذين لهم تعلق بهذه الواقعة : يوسف - عليه السلام - وتلك المرأة وزوجها والنسوة ، والشهود ، ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب ، وإبليس أقرَّ ببراءته أيضًا عن المعصية ، وإذا كان الأمر كذلك ، فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب .

أمَّا بيان يـوسف - عليه السـلام - ادَّعى البراءة عن الذنب فـهو قوله - عـليه السلام - ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾[١] .

وقوله - عليه السلام - ﴿ ربِّ السِّجن أحَبُّ إليَّ مَمَّا يدعونني إليه ﴾ .

وأمَّا بيان أنَّ المرأة اعـترفت بذلك ، فلأنها قـالت للنسوة ﴿ ولقـد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ .

وأيضًا قالت : ﴿ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾.

وأمَّا بيـان أنَّ زوج المرأة أقرَّ بذلك فـهـو قوله تعـالى : ﴿ إنه من كـيـدكنَّ إنَّ كيدكنَّ عظيم * يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك ﴾ .

وأمَّا الشهود فقوله تعالى : ﴿ وشهد شاهد من أهلها إن كان قيمصه قُدَّ من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ .

وأمَّا شهـادة الله تعالى بـذلك فقوله تـعالى : ﴿ كـذلك لنصـرف عنه السُّوء والفحشـاء إنه من عبادنا المخُلصين ﴾ . فقـد شهد الله تعـالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات .

أولها : قوله تعالى : ﴿ لنصرف عنه السُّوء ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة .

ثانيها : قوله تعالى : ﴿ والفحشاء ﴾ أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء.

ثالثها : قوله تعالى : ﴿ إنه من عبادنا ﴾ مع أنه تعـالى قال ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ .

رابعـها : قـوله تعـالى : ﴿ المُخلَصين ﴾ وفـيه قـراءتان تارة باسم الفـاعل المُخلِصين، وأخرى باسم المفعول ﴿ المُخلَصين ﴾ فوروده باسم الفـاعل يدل على كونه آتيًا بالطاعـات والقربات مع صفة الإخلاص ووروده باسم المـفعول يدلُّ على أنَّ الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته ، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل

---

(١) سورة يوسف : [٢٦] .

الألفاظ على كونه مُنزهًا عما أضافوه إليه .

وأمَّا بيان أنَّ إبليس أقرَّ بطهارته ، فلأنه قال : ﴿ **فبعزتك لأُغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المُخلصين** ﴾ (١) . فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف – عليه السلام – من المخلصين لقوله تعالى : ﴿ **إنه من عبادنا المُخلصين** ﴾ فكان هذا إقرارًا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى(٢) .

وإذا كان يوسف بريئًا فما معنى قوله تعالى ﴿ **ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ .

قلت : أرفض أولاً كل ما ورد في الإسرائيليات التي تُشير إلى أنه – صلى الله عليه وسلم – عزم أو خلع ملابسه . . . .

ثمَّ أرى ثانيًا أنَّ الآية فيها تقديم وتأخير فأصل الكلام ﴿ **لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها** ﴾ ، وطالما أنه رأى برهان ربه – الصارف له عن الحرام – فلم يهم بها .

وقد جاء مثل هذا التقديم في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **إن كادت لتُبدي به لولا أن ربطنا على قلبها** ﴾(٣) .

﴿ **واستبقا الباب** ﴾ فهو قد آثر التخلص بعد أن رأى برهان ربه ،وهي عدت خلفه لتمسك به ،وهي ما تزال في هياجها الحيواني ﴿ **وقدت قميصهُ من دبُرٍ** ﴾ .

والقَّد : القطع ، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولاً (٤) وهذا قد يدل على أنها تريد أن تلتصق به لتجذبه إليها وتقع المفاجأة :

﴿ **وألفيا سيدها لدى الباب** ﴾ . وهنا تتبدى المرأة المكتملة ، فتجد الجواب حاضرًا على السؤال الذي يهتف به المنظر المريب إنها تتهم الفتى .

---

(١) سورة ص : [٨٢ ، ٨٣] .
(٢) تفسير الرازي (٩/ ٢٥-٢٨).
(٣) سورة القصص : [١٠] .
(٤) تفسير القرطبي : (٩/ ١٧١).

﴿ قالت مـا جزاء من أراد بأهـلك سوءاً﴾ ولكنها امرأة تعـشق ، فهي تخشي على حبيب قلبها من الهلاك ، فـتشير بالعقاب المأمون ﴿ إلا أن يُسجـن أو عذاب أليم ﴾ ويجهر يوسف - عليه السلام - بالحقيقة في وجه الاتهام الباطل :

﴿ قال هي راودتني عن نفسي ﴾ وهنا يتكلم ولد في المهد - وقيل :تكلم رجل كبيـر قريب لها - ليحسم بـشهادته في النزاع ﴿ وشهـد شاهد من أهلهـا إن كان قميصه قُدَّ من قُبل فصـدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُدَّ من دُبُرٍ فكذبت وهو من الصادقين ﴾.

يقول : إن كان قـميصه قُطع من أمـامه فصدقت في قـولها : إنه راودها عن نفسها لأنـه يكون لَمَّا دعاها وأبت عليه دفعته في صـدره فقدَّت قميصـه فيصح ما قالت : ﴿ وإن كان قميـصه قُدَّ من دُبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ وذلك يكون كما وقع لَمَّا هرب منها وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه[١] .

* * * * *

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٥).

المتكلمون فى المهد

[٧] ابنُ رَجُل اليمامه

« أنت رسول الله ».

قال البيهـقي : أنا على بن أحمد بن عبدان ، ثنا أحمد بن عبـيد الصفار ، ثنا محمد بن يونس الكديمي ، ثنا شاصونه بن عبيد أبو محمد اليماني ، وانصرفنا من عدن بقرية يقال لهـا الحردة - حدثني معرض بن عبد الله بن معـرض بن معيقيب اليماني عن أبيه عن جده قال : حـججت حجة الوداع ، فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووجـهه مثل دارة القمر ، وسمعت منه عجبًا ، جاءه رجل بغلام يوم وُلِد فـقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أنا ؟ قال أنت رسول الله قال : **صدقت بارك الله فيك** . ثم قال : إن الغلام لم يتكلم بعـد ذلك حتى شبَّ ، قال أبي : فـكنا نسميـه مبارك الـيمامـة ، قال شاصونة ! وقد كنت أمرُّ على معمر فلم أسمع منه .

قال ابن كثير : هذا الحديث ممَّا تكلم الناس في محمد بن يونس بسببه وأنكروه عليه واستـغربوا شيخـه هذا ،وليس هذا مما ينكر عقلاً ولا شرعًا ، فـقد ثبت في الصحـيح في قصـة جُريج العابد أنه استـنطق ابن تلك البغي ، فـقال له : يا أبا يونس ، ابن مَن أنت ؟ قال : ابن الراعي ، فعـلم بنو إسرائيل براءة عرض جُريج مما كان نُسب إليه .

على أنه قـد روى هذا الحديـث من غيـر طريق الكديمي إلا أنه بإسناد غـريب أيضًا :

قال البيهـقي : أنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عـثمان الزاهد ، أنا أبو الحسين محمـد بن أحمد بن جمـيع الغساني - بثغر صـيدًا - ثنا العباس بن مـحبوب بن

عثمان بن عبيد أبو الفضل ، ثنا أبي ثنا جـدي شاصونة بن عبيد ، حدثني معرض ابن عبد الله بن معـيقيب عن أبيه عن جده قال : حجـجت حجة الوداع فدخلت دارًا بمكة فرأيت فيـها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووجهه كـدارة القمر ، فسمعت منه عجبًا ، أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم وُلِد وقد لفَّه في خرقة ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

يا غلام مَن أنا ؟

قال : أنت رسول الله .

فقال له : بارك الله فيك ، ثمَّ إنَّ الغلام لم يتكلم بعدها .

قال البيـهقي : وقد ذكره شـيخنا أبو عبد الله الحـافظ عن أبي الحسن على بن العباس الوَّراق عن أبي الفضل أحمد بن خلـف بن محمد المقري القزويني عن أبي الفضل العباس بن محمد بن شاصونة به.

قال الحـاكم : وقد أخبـرني الثقة من أصـحابنا عن أبي عمـر الزاهد قال : لَمَّا دخلت اليمن دخلت حردة ، فسألت عن هذا الحديث فوجدت فيه لشاصونة عقبًا، وحُملت إلى قبره فزرته[1] .

والمقصود :

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه رجل بغلام يوم ولادته فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - الغلام قائلاً :

مَن أنا؟

فردَّ الغلام بطلاقة لسان ، أنت رسول الله .

وقد كـان هذا دليلاً قاطعًا على صـدق رسالته - صلى اللـه عليه وسلم - مع

---

(١) البداية والنهاية (٦/١٦٦/١٦٧).

الأدلة الكثيرة الأخرى الدالة على هذا .

وهذا الغـلام بعد أن كلم سـيـد الخلق - صلى الله عليـه وسلم - سكت ولم يتكلم إلى أن بلغ السن التي يتكلم فيها الأطفال .

* * * * *

وبعد هذه الآيات البينات والحجج الواضحات أما آن لك أيها الإنسان الضعيف أن تتأمل وتتفكر وتتذكر وتفتح عقلك للاعتبار في قدرة القهار

* * * * *

نشـــر الصـــبح عـلى الدنيــا سناهُ   وسـقـي الروض رحـيــقًا من نداه

واكـتــسى الروض من النـور حـلاً

الـنـدى مـن فـــــيض مَن ؟ !   والـضـــــحى مـن نـور مَن ؟

أقـبلت في بسـمـة الفـجـر الطيـور   تسكـب الألحـان عطراً فـي الزهور

تضـع العش وتسـعى في البـكور

عـيـــشــهـــا في رزق مَن ؟!   وهـي أيـضًا مــن صـنـع مَن ؟

حـوت الأرض أفـانين الشـجـر   بـين ألوان وطـول وقـــصــــر

وغــصــون وارقــات وثمــر

مُنبت الأشــــجـــار مَن ؟   راســـــم الألـــــوان مَن ؟!

وترى الشـمس عـروس المشـرق   وجــمـــال البـــدر عنـد الأفق

ســابحًا فـي الطيـلســان الأزرق

الـــدراري صـــنــــع مَن ؟   والســــمــــوات لمـن ؟

داعب الـنحـل من الـزهر شـــذاه   وأحـــال الـورد شـــهــدًا ربَاهُ

وبَنَت هـنـدســـة النـمـل قُراهُ

مُرشـــــــد الـنحـلـة مَن ؟ ... مَلـــهـم الــنـــمــلـــة مَن ؟

الجنين اســتــقــبل الرزق الجـديد ... وتوالى وهـو في المهـد السـعيـد

قـــبل أن تنبت أسنان الـوليـــد

أطـعـــــمــتـــــه يـد مَن ؟! ... صــــــــــــوَّرتـه يـد مَن ؟!

لِمَ يا مـخلـوق آثرت الجـحـود ؟ ... كنت مـعدومًا فمن أيـن الوجود ؟!

أهي صـــدفــــة أم رب ودود ؟!

قـــبله فـي الـكـون مَن ؟ ! ... بـعـــــده فـي المـلـك مَن ؟!

لوتـناهيــتم إلـى سـر الحـيــاة ... وصنعـــتم كـــائـنًا حـــيًا نراه

لـم نـزد إلا يـقــــينًا بـالإلـه

وأخيرًا أخي في الله أوصيك بهذه المعاني الغالية :

الـلـه ربـي لا أُريـدُ ســـــــواهُ ... هل في الـوجـودِ حـقـيـقـةٌ إلاَّهُ

الطيـرُ والبـدرُ مـن أنوارِ حكمـتـه ... والبـرُّ والبـحـر فـيـضٌ منْ عطاياهُ

الطيـرُ سـبَّحــهُ والوحشُ مـجَّدَهُ ... والحـــوتُ كـبَّره والمـوجُ ناجـــاهُ

والنملُ على الصـخور الصُّم قـدَّسهُ ... والنحلُ يـهـتف حـمـدًا فـي خـلايهُ

والناسُ يعـصونهُ جـهـرًا فيسـترهـم ... والعـبـد ينسى وربي ليس ينسـاه

ربُّ الوجـود تعـالى أنْ يُحـيطَ به	علمُ الـعـبـادِ بلا شـركٍ عَبـدْنَاهُ
هو الذي خَلَقَ الأشـيـاءَ من عـدمٍ	وكلُّ شـيءٍ يُسَـبِّحُهُ ويَخـشـاهُ
انظرْ تـأمَّل تَفكَّرْ سـوفَ تَعـرفـهُ	فـي كـل شـيءٍ وتـوقـن أنـهُ الـلـهُ
فكـلُّ مَن حـولـنا فـيـنا يُذكِّرنا	إذا نسـيـنا بـأنَّ الخـالق الـلهُ
مَنّ الذي يسـمع الشكوى ويرفعـها	ويسـتـجـيبُ لخق الـله إلاَّهُ
من يكشفُ السوءَ غـيرُ اللهِ مُوجِدُنا	إن مَسَّنَا الـضُّر مَن ينـجـينـا إلاَّهُ
اخـتص باسمٍ فلا يـحظي به أحـدٌ	وذلك الاسـمُ مـعـروفٌ هو الـلهُ
الله الـلهُ اللهُ الـذي سـجـدتْ له	العـوالـمُ لا مـعـبـودَ إلاَّهُ

* * * * *

اللهم اجعلنا من الذين يذكرونك قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض .

وآخر دعونا أن الحمدُ لله رب العالمين والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا - .

فهرس المتكلمون في المهد

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١

دار الفجر للتراث
القاهرة

خلف الجامع الأزهر - القاهرة
ت : ٥١٤٧٢٤٨ - ٥١٤٧١٧٩
٠١٠١٤٦٣١٢٣

